الدرس الثالث عشر/ تجريد التوحيد المفيد للمقريزي

قراءة الطالب: الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد: قال المصنف-رحمه الله تعالى-:

"واعلم أن الذي ظنّ أن الرب ﷻ لا يسمع له، أو لا يستجيب له إلا بواسطة تطلعه على ذلك، أو تسأل ذلك منه؛ فقد ظنّ بالله ظنّ السّوء، فإنه إن ظنّ أنه لا يعلمُ أو لا يسمع إلا بإعلام غيره له وإسماعه، فذلك نفيٌ لعلم الله وسمعه وكمال إدراكه، وكفى بذلك ذنباً، وإن ظنّ أنه يسمعُ ويرى، ولكن يحتاج إلى من يُليّنه ويُعطّفه عليهم؛ فقد أساء الظنّ بأفضال ربه وبرِّه وإحسانه وسعة جوده، وبالجملة: فأعظم الذنوب عند الله إساءة الظنّ به، ولهذا يتوعدهم في كتابه على إساءة الظنّ به أعظم وعيد، كما قال الله تعالى: {الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً}، وقال تعالى عن خليله إبراهيم ﷺ: {أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَما ظَنّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ}، أي: فما ظنّكم أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره، وظنّنتم أنه يحتاج في الاطلاع على ضرورات عباده لمن يكون باباً للحوائج إليه ونحو ذلك، وهذا بخلاف الملوك؛ فإنهم محتاجون إلى الوسائط ضرورةً؛ لحاجتهم وعجزهم وضعفهم، وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين، فأما من لا يشغله سمع عن سمع، وسبقت رحمته غضبه، وكتب على نفسه الرحمة؛ فما تصنع الوسائط عنده؟ فمن اتخذ واسطةً بينه وبين الله تعالى؛ فقد ظنّ به أقبح الظنّ، ومستحيلٌ أن يشرعه لعباده، بل ذلك يمتنع في العقول والفطر، واعلم أن الخضوع والتألُّه الذى يجعله العبد لتلك

الوسائط قبيحٌ في نفسه -كما قررناه-، لا سيما إذا كان المجعول له ذلك عبداً للملك العظيم الرحيم القريب المجيب، ومملوكاً له، كما قال تعالى: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِي ما رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} أى: إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه، فكيف تجعلون لي من عبيدى شركاء فيما أنا منفردٌ به، وهو الإلهية التى لا تنبغى لغيرى ولا تصلح لسواي؟ فمن زعم ذلك فما قدرنى حق قدرى، ولا عظّمنى حق تعظيمى، وبالجملة، فما قدر الله حق قدره من عبد معه من ظنّ أنه يوصل إليه، قال تعالى: {يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً} إلى أن قال: {ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}، وقال تعالى: {وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأرض جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ}، فما قدّر القوىّ العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل".

الشيخ -حفظه الله-: إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

فيقول الله تعالى: {يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءِ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۞ حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، إلى قوله سبحانه: {وَذَلِكُمْ ظَنّكُمُ الَّذِي ظَنّنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ ۞ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ}، ذكر المصنف التوحيد بأنواعه، ثم عرّض إلى الشرك وذكر صورا منه، والضابط في الشرك أن كل عبادة يستحقها الله فتصرف إلى غيره فهي شرك، ثم ذكر أنواع الشرك ومنه المكفر المخرج من الملة، ومنه الكفر الأصغر، وذكر الحلف بغير الله، وشرك الإرادات وهو عدم

الإخلاص، ثم ذكر مجموعة مما جاءت وثبت في الشريعة فيها سدٌ للذريعة بأن لا يصل العبد إلى الشرك، وفيها صيانة لجمال التوحيد، ثم ذكر ضابطًا في الأسماء فيما يخص أسماء الله ﷻ وهو المبحث الذي ختمنا به في درسنا الماضي، فذكر ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قال: "إن أخنع الأسماء عند الله رجل تسمّى بشاه شاه، ملك الملوك، لا مالك إلا الله"، وقلنا هذا الحديث ثابت في الصحيحين لفظة شاه شاه من إدراج سفيان بن عيينة، وثبتت بعدة ألفاظ فثبتت: "أخنع" في الصحيحين، وثبتت: "أخنى" في صحيح الإمام البخاري، وثبت عند مسلم "أغيظ رجل عند الله رجل تسمى ملك الأملاك"، وثبت عند الترمذي أن النبي ﷺ قال: "أخنع الأسماء عند الله تعالى يوم القيامة"، فهذا يكون يوم القيامة، وقلنا أن هذه الأسماء مردها إلى المعاني، ونضيف فنقول: هذه المعاني ليست فقط باللغة العربية، وإنما هي في جميع اللغات، فيمنع شرعاً صيانةً لجناب التوحيد التسمية بالرحمن، والتسمية بالخالق، والتسمية بالبارئ، والتسمية بالمصور، أما الأسماء التي لها مسوغٌ وإن أطلقت على الله ﷻ ولكن لها مسوغ في حق البشر، فيجوز إطلاقها على البشر، كقولنا: (العزيز)، الله قال "عزيز مصر" وقولنا: (العلي)، فلان علي، صحابي جليل اسمه (علي)، فلا حرج في هذا الاسم، الله قال عن نبيه ﷺ: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}، فإن تسمي رؤوف ورحيم فهذا لا حرج فيه البتة، وكذلك ما يخص الأسماء ومن أبشع وأشنع هذه الأسماء الذي يوازي ملك الملوك، بمعنى ملك الملوك فهو كذلك ممنوع في جميع الأسماء، ثم ذكر الإمام المقريزي –رحمه الله تعالى– لخص فيه كلام ابن القيم، وحقيقة كلام ابن القيم مهم، ومهم للغاية، وذكره في كتابه (زاد المعاد) في الجزء الثالث من صفحة (205-213)، السبب الذي يوقع الناس في الشرك والكفر وهو عينه السبب الذي جعل بعض أهل البدع يقعون في مقالات شنيعة رديئة سيئة في حق الله ﷻ، وهو أنهم ما قدروا الله تعالى حق قدره، وهو الظنّ السوء بالله سبحانه وتعالى، قال الله ﷻ في الآيات التي فتحت بها هذا الدرس، {يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۞ حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍۚ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}، وقال: {وَذَلِكُمْ ظَنّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ ۝ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ}، وختم الله الآيات بالوعيد والتهديد بنار جهنم، السبب أنهم اعتقدوا أن الله لا يعلم كثيرا مما يعملون، وهذا الاعتقاد هو اعتقاد السوء، وكذلك أهل البدع يعتقدون في كافة أبواب التوحيد الشنائع التي عرفت بها بعض الفرق يجمعها ظنّ السوء بالله ﷻ ، وفصّل هذا على وجه بديع الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى– وأخذ المصنف صوراً وألواناً من ظن السَّوء بالله تعالى، قال: "واعلم أن الذي ظنّ أن الرب لا يسمع له، ولا يستجيب له، إلا بواسطة تطلعه على ذلك، أو تسأل ذلك منه؛ فقد ظنّ بالله ظنّ السوء"، في الدرس الماضي ذكرنا مفتاح جواب الشبهة التي أطلقها بعض الذين يصرفون العبادات لغير الله، من أن هؤلاء المشركين الذين هددهم الله تعالى وتوعدهم بالنار كلهم يعبدون الله ولا يكفرون به، هم يعترفون بأن الله حق، ويعترفون بأن صفاته حق، ولكنهم يرون أنفسهم إنهم ليسوا أهلاً بأن يخاطبوا الله تعالى مباشرة، فيبحثون عن وسائط تقربهم إلى الله تعالى، فلماذا هذا التهديد وهذا الوعيد؟ وهم لا يكفرون بالله ﷻ، هذا أصل الشبهة، الجواب بأن الشرك أقسام، والشرك مداره على التعطيل، وأن هنالك شرك بالله وأسمائه وصفاته، ثم هنالك شرك في العبودية، في طريقة عبادتك لربك، وفتح لك الجواب بأن الشرك ليس خاصاً في تعطيل الرب، وإنما الشرك أيضاً أن تصرف شيئاً خاصاً بالله ﷻ تصرفه بباطل إلى غيره، فهذا أيضا شرك فانفتح معه الجواب، ثم بدأ الآن من ظنّ السوء، وهذا فيه كشف للأتربة عن جذور الوقوع الشركي، وأن أصل المشرك وهو كذلك أصل يوافق المشركين فيه أهل البدع الذين لا نكفرهم بأنهم لما قالوا ما قالوا من الشنائع في حق الله ﷻ ، إنما يجمعهم ظنّ السوء بالله ﷻ، قال: "فإنه من ظنّ أن الله لا يعلم ولا يسمع إلا بإعلام غيره له، وإسماعه فذلك لعلم الله ولسمعه وكمال إدراكه وكفى بذلك ذنبا"، بعض الفرق تثبت العلم لله ﷻ، ولكن يثبتون العلم بكليات الأمور دون

الجزئيات، فهؤلاء ما قدروا الله حق قدره، وهؤلاء تعلقوا ببعض النصوص، ولكنهم ما فهموها، الله ﷻ يقول في سورة الأنفال: {ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ}، قالوا: الله يعلم كلياتهم، أما التفاصيل والدقائق، الجلوس والنوم والأكل والمشاهدة، هذا من الجزئيات ما يعلمها الله تعالى، وهذا والعياذ بالله من ظنّ السوء، طيب ما معنى الآيه: الآن: هذا علم ظهور فعلم الله علم مكنون وعلم ظهور، فلما جرى ما جرى مع أهل بدر، وأهل بدر وما أدراك ما أهل بدر، كان المطلوب من الواحد أن يصبر أمام عشرين في القتال، {وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ}؛ فأوجب الله تعالى صبر الواحد أمام اثنين، إذا اجتمع على المسلم أكثر من اثنين له أن يهرب، أما في أيام بدر ليس كذلك، هذا لا ينفي أن الله لا يعلم الجزئيات، لكن عِلم الله الآن علم ظهور، ظهر الأمر، الآن علم الله أن فيكم ضعفا، والله ﷻ علمه يشمل كل شيء، وإن ظنّ أنه يسمع ويرى، ولكن الله يحتاج من يلّينه ويعطفه على الناس؛ "فقد أساء الظنّ بأفضال ربه وبره وإحسانه وسعة جوده اسمه سبحانه" مثال الملوك يحتاجون إلى وسائط حتى يصلون إليهم، قالوا: إذا كان هذا في حق المخلوق الملك، فما بالك في حق الله؟ أن تدخل على الله لابد لك من الوسائط، وهذا من أفسد القياس، هذا يحتاج إلى من يلينه ومن يعطفه من القريبين منه ومن المسؤولين على خلقه، لكن الله جل في علاه ﷻ لا يحتاج لذلك، فهذا الذي أوقعهم بمثل هذه الشبهة وأنهم حصروا الكفر في الجحود دون سواه، بعض الناس يقول الكفر جحود تجحد الرب تجحد صفاته، هذا هو الكفر، وهذا يلتقي مع أصول كثيرة منها أن الإنسان لا يكفر بالقول ولا يكفر بالعمل، ومنها أن القول والعمل ليس من مسميات الإيمان، وأن الإيمان هو عبارة عن عقد القلب والجنان فقط، هذا الإيمان دون قول وعمل، الأمور كلها عندهم متكاملة منظومة متكاملة، ولذا لما يقولون مثل هذا الكلام هم لهم فلسفة، وهذه الفلسفة كلها تدل على موضوع أنهم ما عرفوا الله حق قدره، وأنهم ظنّوا بالله ظنّ السوء، قوله: "وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله إساءة الظنّ به"، إساءة الظنّ بالله شيء وأن تخاف الله شيء آخر، العبد المؤمن يعيش ويموت وهو في أحسن أحواله مع

ربه ﷻ ، وقربه منه وعبادته له، وهو في أردأ أحواله في معاصيه وغفلته يعيش بين الخوف والرجاء، قال تعالى: {مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ} ، المؤمن كيفما حاله مع الله ﷻ بين خوف ورجاء، ولكن في أوقات الشيخوخة، وكبر السن والضعف، وفي أوقات المرض ولا سيما إن كان المرض مخوفا، فينبغي أن يوسِّع حسن ظنّه بالله ﷻ، وفي الشباب والقوة والشهوة، ينبغي أن يُغلب الخوف من الله ﷻ، لكنه لا يسيء الظنّ بربه ﷻ، من عبد الله برجاء فقط زنديق، ومن عبد الله بخوف فقط حروري خارجي، ومن عبد الله برجاء فقط فهذا مرجئ، والعبد يعبد الله تعالى بالثلاثة: بالمحبة، والخوف، والرجاء، فإذا كان القلب اتسع للرجاء واتسع للمحبة واتسع للخوف، يبدأ الإنسان ويأخذ بمفتاح أنه يعلم قدر نفسه، وأنه يستغفر ربه، وشدة استغفاره لربه كلما ازدادت الطاعات والعبادات، ولذلك أكثر الناس استغفارا من؟ رسول الله ﷺ في مجلس واحد يقول سبعين استغفار، هل جلست في مجلس ترى رجلا استغفر الله سبعين مرة، في كل مجلس، فكلما ازداد الإنسان معرفة بربه ﷻ توسع في حقه أنه عرف قدر ربه، ومعرفة قدر الرب ﷻ يتفاوت فيه الناس، فمنهم المعدم وهو: المشرك، ومنهم: القليل وهم أهل البدع والضلالات، ومنهم: من له نصيب ينجيه عند الله ﷻ وهم العبّاد الذين يترسمون نهج النبي ﷺ، فأعظم الذنوب عند الله إساءة الظنّ به، ولهذا يتوعدهم في كتابه على إساءة الظنّ به سبحانه أعظم وعيد فقال: {الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً}، هذه الآيات في حق من؟ الكفار، يسيئون الظنّ بالله ﷻ، من صرف حقاً خالصاً لله من العبادة بجميع ألوانها وأنواعها وصورها إلى غير الله ﷻ، فحقيقة هذه أنه ظنّ بالله ﷻ ظنّ السوء، ظنّ الجاهلية كما قال تعالى: {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ}، فأضاف الظن للجاهلية، قال ابن القيم في كتابه (زاد المعاد): "وقد فُسر هذا الظنّ الذي لا يليق الله بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأنه يسلمه يقاتل، وقد فسر بظنّهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره، ولا حكمة له فيه، ففسر بإنكار

الحكمة، وإنكار القدر"، ظن السوء يدخل في كل شيء وأظهر ما يظهر في الممارسات العملية للناس، الممارسات العملية للناس ما يقع الإنسان في شيء يغضب الله ﷻ ولا سيما الشرك، أو الكبائر، إلا وكان حاله عند التحقيق أنه ظنّ بالله ظنّ السوء، وإنكار أن يتم أمر رسوله ويظهره على الدين كله، قال: "وهذا هو ظنّ السَّوء الذي ظنّه المنافقون والمشركون به سبحانه"، {وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرا}، وإنما كان هذا ظنّ السوء وظنّ الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل، وظنّ غير الحق لأنه ظنّ ما يليق بأسمائه وصفاته العليا، ظن السوء فيما يخص الأسماء والصفات، كل شنائع الفرق الضالة ما وقعت فيه ما وقعت فيه إلا بعد أن ظنوا بالله ظنّ السوء، لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، بخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والألوهية، وما يليق بوعده الصادق، الذي لا يخلفه، وبكلمته التي سبقت لرسله، أنه سبحانه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون، فمن ظنّ بأنه لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره ولا يؤيده، ويؤيد حزبه ويعليهم ويظهرهم على أعدائه، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يدين الشرك على التوحيد، والباطل على الحق، أي: يجعل الباطل ويجعل الشرك يظهر ويغلب، وأنه يظهر بالباطل على الحق إدانة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالاً لا يقوم بعده أبدا فقد ظنّ بالله ظنّ السوء، {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَٰخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ}، من كان يظنّ أن الله لن ينصر دينه، لن ينصر محمدا ﷺ في الدنيا وفي الآخرة، فليمدد بسبب – بحبل- إلى السماء – السقف- وليقطع الحبل ليشنق نفسه، هناك لله سنن، وفهم سنن الله جل في علاه أكثر ما تظهر في السيرة، وذكرها الله تعالى في القرآن، لكن السيرة التطبيق العملي لمثل هذه السنن، والتضييق على أهل السنة ومحاربة أهل السنة هذه سنة من سنن الله، وهي دالة على ظهورهم وعلى قوتهم وقوة حجتهم، وهذا الصراع لا ينتهي إلى يوم القيامة، قال: "لكن مايليق

بكماله وجلاله وصفاته ونعوته فإن حمده، وعزته، وحكمته، وإلهيته تأبى ذلك" تأبى أن يكون ظهور الكفر والشرك على التوحيد ظهورا تاماً كاملاً مستمرا إلى يوم الدين، حكمة الله تأبى ذلك، لا يكون ذلك البتة، قال: "وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به، والعادلين به، فمن ظنّ به ذلك فما عرفه"، من ظنّ هذا بالله عز وجل فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله، كيف تعرف أن الله عزيز؟ إيش عزيز؟ غالب، غالب الكافرين، "وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره فما عرف ربوبيته وملكه وعظمته وكذلك من أنكر أن يكون قدر وما قدره ذلك" إلى آخر كلام ابن القيم الذي يكتب بماء الذهب، في سوء الظنّ بالله وأن سوء الظن بالله هو القاسم المشترك، هو الجامع بين حال المشركين وحال المبتدعة الذين قالوا شنائع الأقوال ونسبت زورا وبهتانا إلى دين الله سبحانه وتعالى ، قال المصنف: "وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: {أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ}، أي: فما ظنّكم أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره ما هو الظنّ؟ ظن سوء، الذي يعبد الله عز وجل ويترك العبادة لغيره، ماذا يقول إبراهيم عليه السلام، يقول: {أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ} تصرفون العبادة لغير الله، لماذا يصرفون العبادة لغير الله؟ ما هو السبب؟ الظن السوء، يظنون بالله عز وجل ظن سوء، بعد هذا الكلام وقد اختصره من كتاب ابن القيم، رجع إلى الشبهة التي ذكرها سابقاً، قال: "وهذا بخلاف الملوك فإنهم محتاجون للوسائط" بدأ يفند الشبهة ويركز على أن القياس ليس صحيحاً، وقرر شيئاً مهما، قرّر أن هنالك تلازماً بين اتخاذ الوسائط في عبادة الله عز وجل والعجز المنسوب إلى الله، إذا الله أراد أن يتخذ وسائط وأنك لا تدخل عليه في العبادة مباشرة وفي الدعاء مباشرة وفي الصلاة مباشرة غلا بالوسائط، فهذا يلزم إلزاما لا يقبل الانفكاك بأن الله عاجز، سمعه عاجز، علمه عاجز، قدرته عاجزة، رحمته ليست بتامة، فهو يحتاج إلى من يعطفه، ويحتاج إلى من يعلمه، ويحتاج إلى من يخبره، فجعل اتخاذ الوساط والعجز بينهما علاقة تلازم، وهذا التلازم لا ينفك، وهذا من الباطل، فإذن أصل اتخاذ الوسائط من أبطل

الباطل، الذي هو بوابة كبيرة للدخول في الشرك، أصل اتخاذ الوسائط هذه مع الله ﷻ في عبادته إنما هي من أبطل الباطل، لأننا لا نستطيع أن ندفع العجز عن ربنا ﷻ، عن علمه، وعن قدرته وعن رحمته، إلا بأن نقول أن هذه الوسائط كلها باطلة وليست بحقة، ومن فعل ذلك فهذا الاتخاذ هو في حقيقة أمره ظنّ السوء بالله ﷻ وعدم قدرة الله ﷻ، قال: "فأما من لا يشغله سمع عن سمع"، الله لا يشغله سمع عن سمع، الله يسمع لخلقه كلهم، لا تتداخل عليه الأصوات، الناس يتكلمون في لحظة واحدة، المخلوقين: الإنس والجن، والله أعلم بلغات الجن، لغات الدنيا عرفناها والجن كيف يتكلمون وبأي اللغات يتكلمون لا ندري، والناس يتكلمون بلغات شتى على وجه هذه البسيطة، على وجه هذه الأرض تتداخل الأصوات عليهم وعليك، لو الآن إثنين يخاطبوني مع بعض أقول اسكت يا فلان وتكلم يا فلان، هذا عجز ونقص وأنا مخلوق، اما الله ﷻ لا تتداخل الأصوات عليه، والكل يتكلم، بل ليس المتكلمون، النجوى والسر وما توطن به قلبك، وما يطوف على قلبك من خواطر، أو الخواطر المستقرة الثابتة، الذي يحاسب الله تعالى عليه، والخاطر الطارئ الذي يدفعه العبد بالاستغفار، هذه كلها الله ﷻ لا يخفى عليه شيء، ورحمته ﷻ مئة رحمة والخلق يتراحمون فيما بينهم بواحدة، وسبقت رحمته غضبه، وكتب على نفسه سبحانه الرحمة، فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى فقد ظنّ به أقبح ظنّ، هذا أقبح ظنّ ومستحيل أن يشرعه لعباده، بل يمتنع ذلك في العقول والفطر، العقل يرده والفطرة ترده، "واعلم أن الخضوع والتأله الذي يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح في نفسه" هذه الواسطة التي تريد أن تدخلها على ربك فيها ذل مع محبة، والذل مع المحبة إن اجتمعا صارت عبادة، هناك عبادة لغير الله لا سيما إذا كان المجعول له ذلك عبدا للملك العظيم الرحيم القريب المجيب، ومملوكا له، فذكر الله تعالى مثلا والمثل تشبيه حالة بحالة، لأخذ العبرة والموعظة، {ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ}، العبد المملوك ملك لسيده، والعبد المملوك لا يملك، فكل ما هو تحت ملكه هو ملك

لسيده، والحر يملك، أنتم ومماليككم سواء فيما تملكون؟! هذا أمر قبيح عند العرب، لأن المملوك هو كله لسيده، كله وما يملك لسيده، كما تخافون الأحرار ممن يملكون، إن شاركتموهم، إذا أنت شاركت حراً فحينئذ تحسب حساب لهذه الشركة، هل هذا العبد في الرزق كحال الحر إن شاركته، فالحر في الشركة يعني له حساب وله ملك، وملكه معتبر في الأعراف والعقول والفطر، هل المملوك يصبح كهذا هذا هو المثال، قال: "إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوك شريكه في رزقه، فكيف تجعلون لي من عبيدي -الله يقول للخلق- كيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به، وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري" هذا الذي قلناه التلازم باتخاذ الوسطاء والشركاء مع العجز، فمن زعم ذلك "فما قدرني حق قدري، ولا عظمني حق تعظيمي"، ثم لخص الكلام فقال وضرب مثلاً بديعاً.

الإمام ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين)، كتاب مبارك، سمعت الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله- وهو من كبار علماء المسلمين قال لي: "سمعت الشيخ ابن باز -رحمه الله- يقول: كتاب الإسلام عندي (إعلام الموقعين)"، فاستعظمت هذه المقولة، وسمعت من شيخنا الألباني في مجالس عديدة يقول :"كتاب الإسلام عندي (فتح الباري) ، ثم قرأتها من قريب في كتاب طبع في الكويت للسخاوي تلميذ ابن حجر، في ترجمة ذاتية له، وجدته يقول: "وفتح الباري هو كتاب الإسلام" هذا من توارد الخواطر، توارد الخواطر بين السخاوي وبين شيخنا الألباني، لما سمعت الشيخ يقول هذا الكلام ما صبرت، قرأت الكتاب، ثم شرح الله صدري قابلته على أربعة أو خمس نسخة خطية، وعملت على تحقيقه وبقيت أقوم بالكتاب، قرأته قرابة عشرين أو خمسة وعشرين مرة، فوجدت مقولته وأوافق الشيخ ابن باز على أن كتاب الإسلام هو (إعلام الموقعين) لابد أن فيه شيء كان يلزم أيام ما كتب كتابه ابن القيم، الفتنة التي أقامها الفقهاء، مشكلة علماء أهل السنة على مر الزمان ليست مع الحكام، وهم أبعد الناس عن القلاقل والفتن، وأبعد الناس عن التكفير، مشكلتهم مع المشايخ والعلماء، قامت قيامة على فتوة شيخ الإسلام بأنه عمل جاهدا على هدم

مصانع التحليل ، إيش مصانع التحليل؟ كانت فتاوى المشايخ في زمنه بينها وبين قيام مصانع التحليل لزوم، إيش التحليل؟ المصانع التي تحلل الزوجة لزوجها، بسبب اختيار أقوال شديدة في مسائل الطلاق، فكانوا مباشرة في مسائل كثيرة يقولون طالق بائن بينونة كبرى، وعندها أولاد لا تصلح حياتها إلا مع زوجها، فقامت مصانع التحليل، المصانع التي تحلل المرأة لزوجها، الإمام ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) طوّل كثيراً في مسائل الطلاق وفي هدم مصانع التحليل، وهذا الآن لا يلزمنا، نحن الآن المثقفون بعامة، وطلبة العلم بخاصة لا يلزمنا ذلك تدرون لم ؟ لأن المحاكم الشرعية في جميع أنحاء الدنيا في جميع البلاد تركت مذاهب الأئمة الأربعة، وأخذوا بمذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في الطلاق، الذين يفتون لزوم المذهب، في الطلاق لا يلزم، كل المذاهب أخذوا بمذهب شيخ الإسلام في مسائل الطلاق، وبأخذهم –جزاهم ربي خيرا– بمذهب شيخ الإسلام هدمت مصانع التحليل، فكتاب الإعلام من أبدع الكتب، لكن لو أنه جرد مسائل الطلاق منه، وذكر العبرة في اختياراته، فالكتاب مما يضاهي به العلوم الإنسانية بكافة أنواعها، محاسن الشريعة كتاب قائم على محاسن الشريعة.

يقول الإمام المقريزي نقلا من كلام ابن القيم قال: " وفي الجملة فما قدر الله حق قدره من عبد معه من ظنّ أنه يوصل إليه" قال الله تعالى:{يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً}"، الخطاب للناس كلهم ليس لأهل التوحيد، هذا المثل فيه هدم للشرك بأنواعه، ونصرة للتوحيد، ما قال الله فاسمعوا له قال: "فاستمعوا له"، علماء البيان يذكرون قاعدة جميلة تفيدك في عشرات النصوص ولا سيما في القرآن، قالو: "الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى" اسطاعوا، واستطاعوا، لماذا قال اسطاعوا واستطاعوا؟ استطاعوا فيها زيادة في المبنى فتدل على الزيادة في المعنى، افحص كل الكلمات في القرآن، كلمة فيها زيادة فيها زيادة معنى، {وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ}، قال "واصطبر" زيادة في الصبر، الفرق الزيادة في المبنى تدل على ايش؟ على الزيادة في المعنى، قال: "فاستمعوا له" استمعوا وانتبهوا، اسمع

واصغي وتدبر هذا المثل تدبراً شديداً، ما هو المثل؟ قال: {ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ} التوجه للعبادة لغير الله، لن يخلقوا ذبابا – المعبودون- أياً كان هل يخلقوا ذبابة؟! هم لا يستطيعون أن يخلقوا ذبابا سواء كانوا مجتمعين أو كانوا منفردين لو كل المعبودين اجتمعوا جميعا من أول عبادة وقعت فيها شرك إلى آخر عبادة يقع فيها الشرك، اجتمعوا معاً في صعيد واحد لا يستطيعون أن يخلقوا ذباباً، {وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ}، ضعف الداعي والمدعو، فهم عجزة عن أن يخلقوا ذبابة، فإذن العبادة تصرف للعاجز هذا قبيح، العبادة تصرف إلى الكامل، ولا تصرف للعاجز، لا يستحقون العبادة، قال الله ﷻ بعدها: {مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}، اسمع كلام ابن القيم في (الإعلام) وما أستطيع أن أتجاوزه أحاول أن أضغط الوقت واقطع مسافة، لكن حقيقة كلام ابن القيم في الإعلام لا استطيع أن أتجاوزه، يقول –رحمه الله- في المجلد الثاني صفحة (312) بالطبعة التي يسر الله لي أن حققتها، يقول: "حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره فإنه يقطع موارد الشرك من قبله إذا تأملت هذا المثل قطعت موارد الشرك عن قلبك أبدا، –جدير هذه الآية أن تتأملها–، وذلك أن المعبود أقل درجته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده، وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف بما هو أكبر منه؟ ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئا مما هم عليه من طيبات يستنقذوه منه" من العجيب وهذا الكلام يدرج اليوم فيما يسمى بالإعجاز العلمي، الذباب ليس له معدة، الإنسان لما يأكل يبقى شيء من الأكل في المعدة، ثم بعد المعدة ممكن أن تستنقذ الشيء من المعدة، الآية تتضمن الإعجاز العلمي، وأخرج قليلا، القرآن فيه لفتات علمية لكن ليس الإعجاز في القرآن إعجازا علمياً، لكن فيه لفتات علمية،إعجاز القرآن إعجاز بياني، وليس إعجاز علمي، ولا يلزم بإثبات الإعجاز العلمي في القرآن أن يكون صاحبه مؤمنا،

أحدهم يتكلم عن إعجاز القرآن في المحيطات وفي الأجنة وفي الجبال، وخلق الله جل في علاه، ويكون كافراً كيف يكون كافرا ؟ لا يعترف أن الإسلام حق، لا يعترف بأن محمدا حق وأن محمداً صلى ﷺ رسول الله، لا يعترف بهذا، هذا كافر، يعني بعض الناس اتخذوا موضوع إعجاز القرآن العلمي ملهاة عن التوحيد، هذا من أبطل الباطل، بعض الناس يقولون أشياء ومع الزمن يتعلقون بأشياء هي ليست حقائق علمية، مع الزمن تتبدل، فيعرضون كتاب الله إلى النقد والكلام والخلل في فهمهم وليس الخلل في كتاب الله ﷻ، قال: "ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئا مما هم عليه من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه فلا لهم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله، وهذا المثل من أبلغ ما ذكره الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم، والشهادة على أن الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان حيث أعطوا الإلهية التي هي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات، والغنى عن جميع المخلوقات وأن يصمد إلى الرب في جميع الحاجات، وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، وإجابة الدعوات فأعطوها صورا وتماثيلا يجتمع عليها القدرة على أقل مخلوقات الإله الحق، وأذلها وأصغرها وأحقرها، ولو اجتمعوا بذلك وتعاونوا عليه، وأدلوا من ذلك على عجزهم وانتفاء إلهيتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف، لو اختطف منه شيئا واستلبه، فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه، لعجزوا عن ذلك، ولم يقدروا عليه، ثم سوّى بين العابد والمعبود في الضعف فقال: "ضعف الطالب والمطلوب، قيل: الطالب العابد والمطلوب:المعبود، فهو عاجز متعلق بعاجز"، الذي يصرف العبودية لغير الله عاجز يتعلق بعاجز، قيل: "هو تسوية بين السالب والمسلوب، وهو تسوية بين الإله والذباب في الضعف والعجز وعلى هذا قيل الطالب: الإله الباطل، والمطلوب: الذباب، يُطلب منه ما استلبه منه، وقيل: "الطالب: الذباب، والمطلوب: الإله، فالذباب يطلب منه ما يأخذه مما عليه، والصحيح

"أن اللفظ يتناول الجميع، فضعف العابد والمعبود، والمستلِب والمستلَب، فمن جعل هذا إلها مع القوي العزيز، فما قدره حق قدره، ولا عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق تعظيمه" هذا معنى ضعف الطالب والمطلوب، فما قدر القوي العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل".

قراءة الطالب: وقال المصنف –رحمه الله– "واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت أصل ضلالهم راجعا إلى شيئين، أحدهما: ظنهم بالله ظنّ السوء، والثاني: أنهم لم يقدروا الرب حق قدره، فلم يقدره حق قدره من ظن أنه لم يرسل رسولاً ولا أنزل كتاباً، بل ترك الخلق سدًى وخلقهم عبثا، ولا قدره حق قدره من نفى عموم قدرته، وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم، وأخرجها عن خلقه وقدرته، ولا قدره حق قدره أضداد هؤلاء الذين قالوا :إنه يعاقب عبده على ما لم يفعله، بل يعاقبه على فعله هو –سبحانه–، وإذا استحال في العقول أن يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه عليه؛ فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين؟! وقول هؤلاء شر من أشباه المجوس القدرية الأذلِّين، ولا قدره حق قدره من نفى رحمته ومحبته ورضاه وغضبه وحكمته مطلقا، وحقيقة فعله، ولم يجعل له فعلاً اختيارياً، بل أفعاله مفعولاتٌ منفصلة عنه، ولا قدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدا، أو جعله يحلّ في مخلوقاته، أو جعله عين هذا الوجود، ولا قدره حق قدره من قال: إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته، وجعل فيهم الملك ووضع أولياء رسوله وأهل بيته، وهذا يتضمن غاية القدح في الرب، تعالى الله عن قول الرافضة، وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في قول رب العالمين: أنه أرسل ملكا ظالما وادعى النبوة، وكذب على الله، ومكث زمناً طويلاً يقول: أمرني بكذا ونهاني عن كذا، ويستبيح دماء أنبياء الله وأحبابه، والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الأدلة والمعجزات على صدقه، ويقبل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه، ويقيم دولته على

الظهور والزيادة، ويذل أعداءه أكثر من ثمانمائة عام؛ فوازن بين قول هؤلاء وقول إخوانهم من الرافضة تجد القولين سواء، ولا قدره حق قدره من زعم أنه لا يحيى الموتى، ولا يبعث من في القبور، ليبين لعباده الذى كانوا فيه يختلفون، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين".

الشيخ –حفظه الله–: بدأ بالتفصيل في بيان كفر الكفرة، وفي بيان بدعة من ابتدع، وأن الجامع بين هذا أن هؤلاء ما قدروا الله ﷻ حق قدره، قال: "واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع"، وكذلك إذا تأملت حال المشركين فهم من باب أولى داخلون في أنهم ما قدروا الله حق قدره، قال:" وجدت أصل ضلالهم راجعا إلى شيئين: ظنّهم بالله ظنّ السوء" أي: أن تظنّ بالله تعالى خلاف ما يليق به ،"الثاني: أنهم لم يقدروا الرب حق قدره"، في الحقيقة عند التحقيق أن الأول سبب، والثاني نتيجة، وليست سببا؛ فالنتيجة مترتبة على ظنّ السوء أنه ما قدروه حق قدره، والشيء الثاني هو نتيجة وليست سببا، "والثاني: أنهم لم يقدروا الرب حق قدره، فلم يقدروه حق قدره من ظنّ أنه لم يرسل رسولا، ولا أنزل كتابا ترك الخلق سدى وخلقهم عبثا"، لو سألك سائل ما هي أعظم نعمة لله على الناس؟ من ظن أن نعم الله إنما هي في المتع، والشهوات، والطعام والشراب، والنكاح هذا دابة من الدواب، أعظم نعمة لله للخلق أن الله سبحانه أذن لهم أن يعرفوه، وأن يتقربوا إليه، وعرفهم بما يحب ويرضاه، لو أن عقول الخلق اجتمعت في صعيد واحد ليعرفوا ماذا يحب هذا الإله؟ فلا يستطيعون، لا يعرفون ذلك إلا من خلال النبوة، إلا من خلال إرسال الرسل الذين أرسلهم الله تعالى، العبادة لا تقبل عند الله إلا بالإخلاص والاتباع، فالله ﷎ يقول في سورة الأنعام: {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ}، فإنكار الرسل والقدح بالرسالة، وأن الله ما أنزل على أحد من البشر شيئا هذا كما قال الله ﷎ : {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ}، والله لم يترك هذه الشبهة فردها بقوله سبحانه:{ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ

ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورا وَهُدى}، أنتم تعرفون واليهود موجودون وتقولون أن اليهود أصحاب ديانة، فلماذا أنكرتم رسالة النبي محمد ﷺ لما جاء بالرسالة، فالله ردّ عليهم بقوله ﷻ {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ}، أنتم تؤمنون بموسى، من الذي أنزل الكتاب لموسى عليه السلام ؟! هكذا أصحاب الهوى لا يلتزمون أصلا واحدا، قال: "فلم يقدره حق قدره من ظنّ أنه لم يرسل رسولا" الناس بحاجة للرسل ولماذا بعث الله الرسل؟ "وبعث الله النبيين إليه داعين وبه معرفين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين" أول مهمة الرسل كيف نعرف ربنا؟ بعقولنا؟ لا، نعرف ربنا بشرعنا ونعرف حقه علينا بشرعنا، العقول السليمة تصل إلى أن الله حق، بعد أن الله حق تقف، الفلاسفة يقولون الفاعل الأكبر والفاعل أنبثق عنه عشر عقول، حتى التوحيد الفلاسفة ما توصلوا إليه، توصلوا إلى أن الله حق، فالذي ينكر الرسالة ما عرف الله حق قدره، لماذا لم نعرف حق الله حق قدره؟ لا نعرف ربنا من غير الرسل، و من غير الرسل لا نعرف كيف نتقرب إليه، لا نعرف كيف نعبده ﷻ، فالحاجة ماسة لوجود الرسل، ومن لم يؤمن بالرسالة ما قدر الله تعالى حق قدره، وبدأ يفصل ويأتى على جمل من شنائع بعض أهل البدع، ولم يسم أصحابها، في الأصل الذي نقله المقريزي، وفصل أكثر على وجه بديع للغاية فيما ذكرت لكم في (زاد المعاد)، فأتى على جميع الشنائع الموجودة عند أهل الفرق، تذكرون الإحالة على (الصواعق المرسلة)، جعل كل هذه الشبه والشنائع وردها إلى أصل مهم، وهذا هو الأصل المهم: "ترك المنقول والعمل بالمعقول"؛ فالخلق ما لم يستجيبوا وتطمئن قلوبهم، وعقولهم، وتنفسح وتنشرح بما قال الله وقال رسول الله ﷺ تبقى فيها أشياء من البدع، ما سبب تسمية أبي بكر رضي الله عنه بالصديق ؟، النبي ﷺ أخبرهم أن الله أسرى به إلى الأقصى، وصعد ورجع في ليلة واحدة، بالله عليك اخلص نفسك، افحص نفسك لو كنت في زمن النبي ﷺ و أخبرت بهذا الخبر، أن النبي ﷺ ذهب للأقصى، وهو سمي بالأقصى

لبعده عن مكة، وصعد إلى السماء السابعة ورجع، هل تصدق وينشرح صدرك كل أدرى بنفسه، هذا شيء يخالف العقل، والله الآن مع وسائل التواصل الموجودة اليوم، أو مع وسائل التنقل والقمر الصناعي، الله أعلم يكون هذا أو ما يكون، قد يكون للأقصى لكن السماوات السبع الله أعلم، لكن هذا خبر ثبت في كتاب الله، وما ثبت في كتاب الله الصدر ينشرح له، مشكلة المسلمين اليوم أن دينهم دين فكر، ليس دين وحي، ومن عمق هذا النوع من الدين، أهل الأحزاب، لأنهم يردون الدين بعقولهم، {فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ}، استمسك بالوحي، الدين دين وحي وليس دين فكر، قال: "ولا قدر حق قدره من نفى عموم قدرته، وتعلقها بأفعال العباد، من طاعتهم ومعاصيهم وأخرجها عن خلقه وقدرته" هؤلاء الذين سميناهم في الأول ولم يفرقوا بين مشيئة الله الشرعية ومشيئة الله القدرية، وهؤلاء انحرفوا انحرافات كثيرة، وما زالت هذه الانحرافات لها آثار، وإن كان القائلون بها لا يعلمون الأصول المبنية عليها، هؤلاء الجبرية الذين قالوا أنه يعاقب عبده على ما لم يفعل، بل يعاقبه على فعله هو، قالوا: العبد مسكين ليس له شيء، ليس له إرادة، فكيف للإنسان أن تقطع يده، إذا كان هذه السرقة فعل الله وليس فعله هو، وقالوا: فعله وفعل العبد مثل آثار الشجرة ، أغصان الشجرة تتحرك لكن من الذي يحركها؟ الريح، قالوا: أفعاله ليس له فيها كسب، كيف نقول "لها ما كسبت ولها ما اكتسبت"؟ فأهل الحق وسط بين القدرية وبين الجبرية، فالعبد له إرادة، ويختار ويفعل، وإرادة الله فوق إرادته، فمن قال: أن ليس له إرادة مخطئ ومبتدع، ومن قال: أن العبد إن فعل الشر هو الذي يفعله، والله ليس له به صلة، وهو الذي يخلقه والله ليس بخالق الشر، فهؤلاء ضُلاّل وهؤلاء ضُلاّل.

قال المصنف: "قالوا :إنه يعاقب عبده على ما لم يفعله، بل يعاقبه على فعله هو -سبحانه-، وإذا استحال في العقول أن يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه عليه؛ فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين؟! وقول هؤلاء شر من أشباه المجوس القدرية الأذلّين، ولا قدره حق قدره من نفى رحمته ومحبته ورضاه وغضبه وحكمته مطلقا، وحقيقة فعله"، كلام مهم وله أثر كبير في العبادة والطاعة، ولذا المصنف أفرده بمبحث، وسيأتينا هذا المبحث قريباً بإذن الله تعالى، من الذي ينفي الرحمة والمحبة والرضا؟ الجهمية، هؤلاء في حقيقة أمرهم ما قدروا الله ﷻ حق قدره، قالوا: الله لا يرضى، الله لا يغضب، وحب الله هو النِّعم، لماذا هذا التأويل وهذا البعد؟ ! فجعل هذا أيضا من باب ما قدر الله حق قدره، الله يخلق ما يريد، يقولون: تنزيه، تنزيه إيش؟ الله الذي يقول، الله أدرى بنفسه سبحانه، {ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرا}، فالله خبير بنفسه، ثم قال: " ولا قدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدا"، الذي يحتاج لزوجة؟ أنا وأنت، من تغلبنا شهوتنا نحتاج للصاحب والولد، سنموت، فالولد يحفظ الإنسان، أبو بكر الصديق دخل فوجد عبدالله بن الزبير يخطب، فتأمله فرأى نفسه مثله، رأى ابن ابنته، أمه أسماء، وأسماء بنت أبي بكر فقال مقولته المشهورة: "كادت المرأة أن تلد أباها أو أخاها"، فالإنسان يحتاج لولد، الولد يحفظ النسل، الله جل في علاه هل يحتاج للولد؟ معاذ الله! {وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَة وَلَا وَلَدا}، ما معنى جد؟ العظمة، الصحابة كانوا يقولون: إذا حفظ الرجل البقرة وآل عمران جدّ في أعيننا، أي: عظم في أعيننا، الذي يقول اتخذ صاحبة وولد ما قدره الله حق قدره، ما عظموا الله حق تعظيمه، لذا لما تقرأ دعاء الاستفتاح: "سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك" أي: تعالت عظمتك، وما قدروا الله حق قدره من قال أن الله يحل في مخلوقاته، المخلوقات فيها المهين، وفيها القبيح، وفيها القاذورات، وأن يكون الله في كل مكان فهذا ما قدر حق قدره

ﷻ، أو تقول أن الله هو هذا المخلوق كله، وقلت لكم وأرددها هذا يلتقي مع قول الماديين، قول الشيوعيين، من يقول: أن الله هو كل ما ترى، هذا كلام الشيوعيين، وقولهم أبطل الباطل، لكن يتفق أهل وحدة الوجود مع الشيوعيين، ما قدروا الله تعالى حق قدره، قال: "ولا قدره حق قدره من قال: إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته، وجعل فيهم الملك ووضع أولياء رسوله وأهل بيته، وهذا يتضمن غاية القدح في الرب، تعالى الله عن قول الرافضة"، الرافضة الذين يطعنون في أصحاب رسول الله ﷺ ، هؤلاء ما قدروا الله حق قدره، كما قال ابن مسعود : "اختار الله محمدا ﷺ واختار له أصحابه"؛ فالطعن في الصحابة هو قدح في الله لماذا ؟ من الذي اختار لمحمد أصحابه؟ الله، من الذي قدر أن يكون أبا بكر وعمر إلى يوم الدين بجانب رسول الله ﷺ، من الذي قدر هذا ؟ الله، الله يحب نبيه، فيجعل أبغض الخلق جيراناً له إلى يوم الدين!!، لا يقول هذا إلا من لا يعرف الله حق قدره، الذين يطعنون في أصحاب رسول الله ﷺ، ويزعمون أن الله أذل أهل بيته، هؤلاء لا يعرفون الله حق قدره، ولا يخفى عليكم ما كررناه مرات ومرات، أن الصحابة والقرابة كل منهما معظم للآخر، وليسوا أعداءً، قال: "وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في قول رب العالمين"، سر في طاغوت اليهود إيمانهم بإله ظالم محابي، اختارهم وخصهم وخلق الخلق كلهم من أجلهم، وجعلهم أجلكم الله تعالى حميراً، ليركبها اليهود، إلا الشابات الحسنوات فهؤلاء خلقن لليهود ليتمتعوا بهن، وبعد ذلك الناس كلهم مخلوقون من أجل اليهود ليركبوهم ويقضوا حوائجهم من أجلهم، هذا معتقد اليهود في الإله، قال: " أنه أرسل ملكا ظالما وادعى النبوة، وكذب على الله، ومكث زمناً طويلاً يقول: أمرني بكذا ونهاني عن كذا، ويستبيح دماء أنبياء الله وأحبابه، والرب تعالى يظهره ويؤيده"، هذا ينافي نعمة الله، من حكم الله التي لا تتخلف أن الكذاب إن وجد له قبول فهو يسير وقليل، يغر المخدوعين الظانين بالله ظن سوء،

وأما في المآل؛ فكما قال الله ﷻ: {وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ}، وقال: {وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}، أما أن يكون رجلاً مبطلاً، ظالم الله يرفعه! ، كما زعم الروافض أن كل الدول: الأموية، العباسية كلهم أعداء لأهل البيت، هذا خلاف حكمة الله، الباطل يَرُوج لحكمة لله ﷻ ، ولكن مآله البطلان والفضيحة، وبيان العوار، أما أن يستمر الباطل يستحيل، قال: "ويقيم الأدلة والمعجزات على صدقه، ويقبل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه، ويقيم دولته على الظهور والزيادة، ويذل أعداءه أكثر من ثمانمائة عام فوازن بين قول هؤلاء وقول إخوانهم من الرافضة تجد القولين سواء، ولا قدره حق قدره من زعم أنه لا يحيي الموتى"، فهذا القول "بأن الله لا يحي الموتى" يلزم أن الله خلق الخلق عبثا، مع أن قضية البعث في كتاب الله تعالى لها مساحة واسعة جدا، قال الله ﷻ: {لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ}، فمن زعم أن الله ﷻ لا يبعث الخلق ليحقق العدل فيهم، هذا ما عرف الله حق قدره، ابن قتيبة يسند: "أن رجلاً أعرابياً شهد أن رجلا ظلم آخر، فمات المظلوم قبل أن يظهر حقه، وقبل أن يحقق العدل، فلما رأى المظلوم قد مات قال: أشهد –هكذا فطرة سليمة– أن البعث حق" هذا مات مظلوماً وما أخذ حقه أين سيأخذه؟ ومن الذي يعطيه إياه؟ فإذا ذهب الظلم هكذا ولم يؤمن بالبعث والخلق هذا ما قدر الله حق قدره، هذه الصور والمنتخبات من كلام ابن القيم انتخبها المقريزي من كلام ابن القيم في (الداء والدواء) وأنصح بالرجوع إليها، أكتفي بهذا القدر، وإن شاء الله نكمل في درسنا القادم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.